

السعادة في العبارات العربيّة القديمة

الدكتور/ عبد الرزاق بن عمر

المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة

بتونس .

يعدّ الحديث عن السعادة كلاماً في موضوع مجرد باللغة التي تمثّل في هذا البحث وسيلة توصلنا إلى هدف نسعى من ورائه إلى النظر في كَيْفِيَّةِ تصوير العبارات اللغويّة العربيّة لهذا المفهوم. فالمسألة تتعلّق حينئذ بحديث اللغة عن المتصورات و المفاهيم المجردة. و هو حديث لعمري يدقّق وظيفة من الوظائف الأساسية الكثيرة التي حدّدت للغة منذ القديم ثمّ تبلورت إبان ظهور البنيويّة. و من هنا نكون في حاجة بادئ ذي بدء في هذا العمل إلى بلورة بعض المنطلقات الأساسيّة التي تساعدنا في توضيح المقاصد و الأهداف.

فمما لا شكّ فيه أنّ اللغة وظائف كثيرة منها الإبلاغ و التعبير بفضل التنغيم و الإيقاع و ما إلى ذلك... و لكنّ الذي لا لبس فيه كذلك عند المهتمّين بالفلسفة و علوم اللغة منذ القديم هو أنّ اللغة تعكس نظام الفكر و تؤدّي مهمّة التعبير عن المفاهيم المختلفة و تتقلّل للإنسان معارفه وأحاسيسه و تجاربه في الحياة و الكون. ذلك أنّها نظام علامات من خصوصيّاتها القدرة على حمل تجربة معقّدة و المساعدة على تبليغها خلافاً لبقية نظم الإشارات و لاسيّما لغة الحيوان التي يبقى مضمون البلاغ فيها بسيطاً محدوداً. و يعود هذا كما لا يخفى إلى قدرة الإنسان على التجريد و إحداث الرموز القابلة للصياغة في بلاغات، بطريقة لا يماثله فيها أحد من المخلوقات.

و القول بنقل اللغة لنظام الفكر، بصرف النظر عمّا يثيره من جدل بين الفلاسفة و اللسانيين، يستند منذ نشأ عند الإغريق إلى ما يلاحظ من علاقة بين المفاهيم و أقسام الكلام (الإسم يقابل مفهوم الماهية/ الفعل يقابل مفهوم العمل و الحركة/ الصفة تقابل كيف...) و ما يدرك من تناسب بين العلاقات داخل الجمل و الروابط بين الأفكار.

و من ثمة يصبح النظر في السعادة باللغة من داخل اللغة مشروعاً يدفع إلى التساؤل عمّا

صوّرته

* البحث في الأصل يمثل مداخلة في الندوة الوطنية لمعاهد دوز بتونس حول موضوع السعادة، دوز فيفري 2005.

اللغة من هذا المفهوم بمفرداتها و عباراتها لتمثل جانبا من حياة العرب و تفكيرهم. إلا أننا نظرا لضيق المساحة في هذا العمل، سنقتصر على عينة من العبارات القديمة المنتقاة من المعاجم اللغوية.

1. مفهوم العبارة في اللغة

تذكر المعاجم اللغوية أنّ التعبير عمّا في النفس هو الإعراب عنها و البيان و الكلام، عبّر عنه: تكلم، و عبّر الرؤيا و عبّرها: فسّرها و العبارة من ذلك و هي من العبور و الاجتياز (1) إلا أنّها في الاصطلاح، بصرف النظر عن مفهومها في النحو التقليدي (2)، تعني الملفوظ الدالّ من القول و الكلام (2) مهما كان الشكل الذي تواردت فيه أ كان متضمّنا الإسناد أو مفتقرا له. و تعتبر العبارة من وحدات اللغة و عناصرها شأنها شأن الكلمة إذا كانت متواترة كثيرة في الاستعمال المشترك بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة. فهي تساهم كالمفردات إذا دخلت في التركيب في تأدية وظيفة الإبلاغ، و هي لشدة ترسخها في المعجم تمتع من التحويل ببعض الاختبارات البنيوية و الدلالية. إذ أنّنا في التعبير عن الخيبة مثلا، لا نستطيع استبدال مكوّنات العبارة: "رجع بخفي حنين" بأخرى كأن نقول: رجع بحذاء حنين أو بخفي زياد...، دون أن نحسّ بأننا ارتكبنا خطأ أو ابتعدنا عن المعنى إلى غيره. و هذا الاحساس ينشأ في الحقيقة من إحساسنا بالخروج عن المعيار و اللغة في آن واحد.

و العبارات في مختلف اللغات كثيرة لأنّها تمثل كما رأينا في الفقرات السابقة بشيء من التعميم في التحديد، كلّ ملفوظ من اللغة مستعمل للدلالة على معنى. و هي بذلك تشمل كلّ ضروب المتلازمات اللفظية الشفافة المعنى و غير الشفافة والتي تعرّف عادة بكونها "وحدات لغوية تعبّر عن معناها بمكوّنين متعاقبين متلازمين فأكثر و قد امتزجا و تواردا في شكل نحوي معلوم في اللغة"... (3) و هي تضمّ عديد الأنماط التي جمعت قديما في كتب معروفة هي المعاجم اللغوية و كتب الأمثال و الكنايات و المجازات و ما إلى ذلك...

و رغم بعض الاختلافات بين تلك الكتب في ضمّ ضروب من العبارات إلى عبارات أخرى ليست من جنسها لتقارب المجموعات في الخصائص و لاسيّما التواتر فإنّ تصنيف ما يتوفّر عندنا في العربية من رصيد يفرز لنا كثيرا من الأنماط التعبيرية التي نذكر منها:

- الأمثال: هي عبارات تحمل عصارّة تفكير العرب و أخلاقهم و عاداتهم...، مثالها قولهم في الاستخبار عن الأمرين الخير و الشرّ أيهما وقع؟: أنجُ سعد فقد قتل سعيّد و المثل يعود في الأصل إلى قصّة تُنسب في الجاهليّة إلى ضبّة بن أدّ و هي قصّة يُتشاءم بها. و كذلك قولهم في السؤال عن الشيء أ هو ممّا يُحبّ أم يُكره؟: أ سعد أم سعيّد؟...

- *السننات*: (Les expressions idiomatiques / العبارات الاصطلاحية/ العبارات المسكوكة)

و هي غالبا ما تتوارد في موقع مكوّن من مكوّنات الجملة و تختلف عن الأمثال لأنها لا تحتاج إلى قصة تشرحها، أمثلتها كثيرة و منها قولهم: فلان في مثلِ حَدَقَ البعير أي في خصب و ماء كثير و كذلك: حلّى في عيني إذا أعجبني و سرّني و كذلك: خضراء الدّمن في قول الرسول يّاكم و خضراء الدّمن لوصف الحسناء في منبت السّوء...

- *الأدعية*: ليست من الأمثال و لكنها جرت على الألسن في المناسبات و المقامات العديدة للدعاء بالخير أو الشرّ: بُرّ حجّك (: قبله الله منك و كان مبرورا)، سقاك الله من حوض الرسول (: دعاء بالفلاح و النجاح في الآخرة)...

- *الأقوال السائرة*: يمكن أن نقيدها في ما أثر عن الرسول و البلغاء و الفصحاء و المشهورين...، من أقوال و عبارات ذاع صيتها و تداولتها الألسن و منها قولهم: ليس لبني فلان ساعدٌ أي ليس لهم رئيس يعتمدونه و كذلك قولهم في مقام التفاوض: سَعِدَ جدّه أي أنماه... و ممّا يمكن أن يلحق بهذا الصنف ما يعرف منذ القديم بالحكمة كقولهم: إنّ في الشرّ خيارا و قولهم: البطنة تأفّن الفطنة و قيل تُذهّب الفطنة... و المعنى في هذه الأقوال شفاف يفهم من ظاهر القول كما يُرى.

- *المفاضلات*: و هي عبارات جرت على الألسن و تواردت في صيغة مفاضلة كما يلاحظ في قولهم: أشأم من البسوس (: هي ناقة أو امرأة تملك ناقة هاجت بسببها حرب ضروس في الجاهلية) و أشأم من غراب (: هو أكثر الطيور و الحيوانات التي يُنشأَم منها في الجاهلية)...

- *الأحاديث*: و أبرزها في الذاكرة الجماعية للعرب أحاديث الرسول لأسباب دينية يطول شرحها و هي كثيرة نأخذ منها على سبيل المثال قوله صلى الله عليه و سلّم: لا إسعاد و لا عُفْرَ في الإسلام، يقصد إسعاد النساء في المناحات (: مساعدة المرأة للأخرى في النياحة عند موت قريبها أو القائم عليها كالزوج و هي عادة كنّ يعملن بها في الجاهلية)...

- *التجمّعات المعجمية*: هي كثيرة نذكر منها *الإتباع* و هو أن تتبع الكلمة الأخرى على وزنها و قافيتها بصورة دائمة لتقوية المعنى و توكيده فتكوّنان معا مركّبا غالبا ما يعدّ في النحو مركّبا توكيديّا و من أمثلته الكثيرة في اللغة: حَظِيَّتِ الزوجة عند زوجها و بَطِيَّتِ (: كانت لها منـزلة خاصّة عنده)، و رجل قسيم وسيم (: جميل) ... و منها كذلك *المحاذاة* و هي أن تحاذي الكلمة أخرى على نفس الوزن دون أن تكون إحداها مرادفة لصاحبتهما كما في *الإتباع* و عادة ما يراعى في المعنى الاختلاف و خاصّة التضادّ بين الكلمتين كما في قولهم: نعوذ بالله من شرّ السامة و العامة (: السامة هي الخاصة أو خاصّة الرجل ونقيضها العامة)...

- *عبارات الخطاب*: هي عبارات يؤتى بها في الخطاب لضمان قدر أدنى من الانسجام و التماسك بين أجزائه و أمثلتها في اللغة كثيرة منها قولهم في الاستهلال: الحمد لله أي أفتتح الخطاب بالثناء على الله و شكره و في الاستئناف: أمّا بعد (فقد كان كذا و كذا)، يريدون في استئناف الخطاب بعد

الاستهلال: أمّا بعد دعائي لك فقد... و قولهم في الاختتام: إلى آخره أو: و السلام عليكم يريدون بذلك الإشارة إلى انتهاء الكلام السابق...

و رغم أنّ ضروب العبارات في اللغة أكثر ممّا ندّعي إحصاءها في هذا البحث فإنّ ما قدّمناه يعطي صورة واضحة عن أهميّة العبارة في وصف حياة العرب و تفكيرهم و عاداتهم و محيطهم الطبيعي و ما إلى ذلك و لكنّ الذي يهمّنا الآن من كلّ ذلك هو أن نبحت في مجال السعادة من خلال عيّنات من تلك العبارات.

2. التعبير عن السعادة في العبارات العربيّة

يمكن التطرّق إلى الموضوع من زاويتين:

أ- النظر في العبارات انطلاقاً من مكوّناتها التي تمتّ بصلة إلى السعادة و لاسيّما تلك المشتقة من الجذر / س ع د/ للبحث في ما أفرزته من معانٍ قد تكون متميّزة في تحديد المفهوم أو بعض جوانبه و ما إلى ذلك.

ب- البحث عن معنى السعادة وحدودها و مظاهرها في العبارات التي لم تؤخذ مكوّناتها من الجذر / س ع د/ و لكنّها أدّت في الاستعمال هذا المعنى أو شيئاً منه. و هذا العمل يقتضي منا القيام بجرد تلك العبارات من كامل نصوص المعاجم التي انطلقنا منها في هذه الدراسة. و نظراً إلى المساحة المحدودة في هذا البحث فإنّنا نقتصر في تحقيق ما نصبو إليه من وصف، على مجموعة العبارات ذات الصلة بالسّعادة في جذر من مكوّناتها و قد اعتمدنا في ذلك المعاجم التالية:

- لسان العرب لمحمّد بن مكرم بن منظور القفصي، مدخل / س ع د/ و فيه رصدنا 12 عبارة هي: دَهْدَرَيْن سَعْدُ الْقَيْنِ (: مثل قديم يُضرب في الباطل و الكذب و سعد القين من الحدادين) + لَبَيْكَ و سَعْدَيْكَ (: دعاء في استهلال العبادة كالحج...) + أُنْجُ سَعْدَ فَقْدَ قُتِلَ سَعِيدٌ (: مثل يُضرب في الاستخبار عن الأمرين الخير و الشرّ أيهما وقع؟) + أَسَعْدُ أَمْ سَعِيدٌ؟ (: في العناية بذي رحم أو في السؤال عن الأمرين الخير و الشرّ أو الشيء الواحد أ هو ممّا يُحِبُّ أَمْ يُكْرَهُ؟) + فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ (: في التساوي في الاتّصاف بما يُكْرَهُ و يُذَمُّ) + مَرَعَى وَ لَا كَالسَّعْدَانِ (: في الذي يفضل على أقرانه) + لَا إِسْعَادَ وَ لَا عَفْرَ فِي الْإِسْلَامِ (: إسعاد النساء في المناحات و مساعدتهن) + لَيْسَ لِبْنِي فُلَانٍ سَاعِدٌ (: رئيس يعتمدونه و يعودون إليه و يأتمرون بأوامره) + يَوْمَ سَعْدٍ (: يُتَفَاعَلُ بِهِ) + كَوَكَبِ سَعْدٍ + سَعُودِ النُّجُومِ (: هي كواكب مجموعها 10 أنجم يقال لكلّ واحد منها سَعْدٌ كذا. و 4 منازل منها ينزل بها القمر: سعد الذّابح و سعد بُلَع و سعد السّعود و سعد الأخبية) + سَعِيدِ الْمَزْرَعَةِ (: النهر الصغير أو النهر الذي يسقي الأرض).

- أساس البلاغة لجار الله أبي القاسم الزمخشري، مدخل / س ع د/ و قد وجدنا فيه 7 عبارات هي: أَسَعْدَ جَدَّهُ (: أنماه) + إِذَا طَلَعَ سَعْدُ السَّعُودِ نَضِرَ الْعُودُ (: سعد السّعود هو نجم يظهر في

الربيع و هو من منازل القمر) + شَدَّ الله على ساعدك (: أعانك) + ساعدُ الله أشَدَّ + أَمَرْتُ ذُو سواعد (: ذو وجوه و مخارج) + أَسَعَدْتُ أم سَعِيدٌ؟ + مَرَعَى وَ لَا كَالسَّعْدَانِ.

- مجمع الأمثال لأحمد بن محمد الميداني، في فصول متفرقة، لاسيما فصل السنين أول حروف الجذر /س ع د/، لأن ترتيب هذا المعجم بأوائل الحروف التي يبدأ بها المثل و فيها وجدنا 6 عبارات هي: أ سَعَدَ أم سَعِيدٌ؟ + أُنْجُ سَعْدَ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدُ (القصة في باب الحاء) + السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره (: حكمة) + السَّعِيدُ مَنْ كُفِيَ (: حكمة) + مرعى و لا كالسَّعدان (باب الميم) + في كلَّ أرض سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ (باب الفاء).

و الملاحظ لهذا الرصيد يرى تفاوتاً في نسب ما جمع من هذه المعاجم، إذ بلغ حجم العبارات الواردة في لسان العرب نصف ما في كامل المجموعة (50 %)، مقابل ما يناهز الربع (25 %) بمعجمي أساس البلاغة و مجمع الأمثال و يعود الأمر إلى أنَّ المصدر الأول يعدّ معجماً عامّاً و هو أكبر حجماً من المعجمين الآخرين، بينما يختصّ الأساس بجمع المستعمل من اللغة (حقيقة/ مجاز) فيما يقتصر المجمع على الأمثال دون غيرها رغم بعض الخلط أحيانا بين أنواع العبارات المختلفة. و تتوزّع العينة المجموعة من المصادر السابقة بصرف النظر عمّا بينها من فروق إلى 7 أصناف من العبارات هي:

- الأمثال: أ سَعَدَ أم سَعِيدٌ؟ + دَهْدَرَيْن سَعْدَ الْقَيْنِ...
- الأقوال: ليس لبني فلان ساعد + ساعد الله أشَدَّ...
- الحِكَم: السعيد من وعظ بغيره + السعيد من كفي...
- الحديث: لا إسعاد و لا عفر في الإسلام...
- الأدعية: لبيك و سعديك + شَدَّ الله على ساعدك...
- اللسنّيات: شَدَّ على ساعده، و ممّا تجدر الإشارة إليه هو أنَّ اللسنّية و الكثير من أنواع العبارات قد تتوارد عند الاستعمال منضوية في عبارة أخرى كما هو الحال في هذا المثال.
- المتلازمات اللفظيّة من صنف المضاف (: يدلّ المصطلح على العبارة التي ترد في شكل إضافة يتلازم فيها المضاف مع المضاف إليه): كوكب سعد + سعد النجوم + سعيد المزرعة...
- و رغم أنّنا لا نعثر في المادّة المجموعة على أصناف عديدة من العبارات و خاصّة تلك التي تتوارد في صيغ المفاضلة فإنّ هذا التوزّع يبرز لنا كما نرى كيف دخلت العبارة في تقاليد العرب وأقوالهم و أخلاقهم و حياتهم، خاصّة إذا كانت تحمل ملمحاً يسمّى القِيمَ أو شيئاً من المعاني السامية كالسعادة مثلاً... بل إنّ للعبارة قدرةً على تصوير الواقع و المحيط و ما إلى ذلك بما يمكننا من دراسة عادات المتكلّمين باللغة و تفكيرهم إذا ما انتموا إلى مجموعة لغويّة واحدة.
- و ممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ لبعض العبارات تواتراً شديداً لأنّها أكثر اطرّادا من غيرها في الاستعمال كما هو الشأن بالنسبة إلى العبارات التالية:

- أ سعد أم سعيد؟ + مرعى و لا كالسعدان: العبارتان تواردتا في المصادر كلها.
- سعد السعود: العبارة تواردت في مصدرين هما اللسان و الأساس في سياقين مختلفين.
- أنج سعد فقد قتل سعيد + في كل واد بنو سعد: العبارتان في مصدرين مختلفين هما اللسان والمجمع بروايتين مختلفتين إذ أنهما وردتا كذلك بصيغة مخالفة في المصدر الثاني: أنج سعد فقد هلك سعيد + في كل أرض سعد بن زيد.

و بصرف النظر عن اتفاق العبارات السابقة في المشتق من الجذر / س ع د/ لاسيما الأسماء، فإن ما يؤخذ من لفظها يذكرنا بأصل كل عبارة و يحيلنا على جوانب مهمة من الحياة العربية القديمة هي المعارف و المعاش و العصبيّة و السيادة و كلها مميزات أساسية للمجتمع التقليدي الذي كان يطبع الحياة القبلية التي يعيشها العربي.

فعبارة سعد السعود تتقاطع في المعجم مع العبارات: يوم السعد + كوكب سعد + سعود النجوم كما أنها تتفق مع السعادة في اشتقاق السعد من الجذر / س ع د/ و هما من المصادر الكثيرة التي تؤخذ من نفس الجذر... و في هذا ما يذكر بمعارف العرب على الأقل من زاويتين:

* زاوية تتصل بمعارف القوم في الفلك و درايتهم بالنجوم و هي تعود أساسا إلى اهتمام رجال الدين من الكهنة و العرفان بالعلوم و التنجيم و الأثر لأسباب دينية يطول شرحها (4). و لذلك نجد في العربية رصيذا لا يستهان به من العبارات و اللسنات: لا آتيك أو يلقى الثريا رقيبها (: أبدا) + لا يفرق بين السها و الفرق (أعمى لا يبصر و لا يدرك)... (5)

* زاوية تتعلق أصلا باعتقادات العرب في التطير و الحظّ و إن كانت لهذه الزاوية علاقة وطيدة بالأولى ناهيك أن الكاهن هو الذي تناط بعهدته في الغالب عملية التكهن بمآل الأمور بطرق معلومة كالأقداح فيتقاءلون و يتشائمون... و قد ظهرت لهم منذ الجاهلية العديد من العبارات المتصلة بهذا الغرض: كَبَارِحِ الأروى

(: مشؤوم أو طالت غيبته) + صدقهم وسم قذحه (: قال الحق)... (5)

أمّا عبارة مرعى و لا كالسعدان فبقطع النظر عن معناها أو قائلها الأول إن كانت الخنساء أو غيرها فإن ما تلنقي فيه المصادر يحيلنا أساسا على أجود المراعي التي ترعاها الإبل في الربيع و قد كان العرب يتنقلون كثيرا للبحث عن المرعى. و السعدان بقل أو نبت له شوك يقال له حسكة السعدان و تشبه به حلمة الثدي، إن رعته الإبل في الربيع و كان طريا رطبا صار لبنها جيذا حلوا لذيذا يتمصصه الإنسان حلوا رطبا و يأكله (6)، و كأنما السعادة التي يناشدها العربي تكمن في رغد العيش و حالة الرخاء التي يبحث عنها في حياته و تنقلاته و قد ذكر ابن منظور في معجمه ما يدعم هذا بسؤال أعرابي لأعرابي: أ ما تريد البادية؟ قال: أما مادام السعدان مستلقيا فلا (6) كما أننا نجد للعرب قولهم الآخر: خرج القوم يتسعدون أي يرتادون مرعى السعدان (6).

و أما قولهم أ سعد أم سعيد فإنه يذهب بنا شأنه شأن قولهم الآخر: أنج سعد فقد هلك سعيد إلى قصة معروفة ينتشام منها العرب في الجاهلية و تذكر الكتب أنها تعود إلى ضبّة بن أد و قد كان له ابنان أحدهما سعد و الآخر سعيد خرجا في طلب إبل فرجع سعد و لم يرجع سعيد فصار ضبّة لشدة تعلّقه بابنه إذا رأى سوادا تحت الليل يقول: سعد أم سعيد؟ فسار من قوله ذاك المثل في المعاني التي تقدّمت في الفقرات السابقة (6). و لا يخفى علينا هنا اتفاق أصل العبارة مع مفردات كثيرة منها: الإسعاد الدالّ على المساعدة في النياحة و الساعد في معنى الرئيس يُعتمد عليه... و قد كان للعرب في هذه المعاني عبارات نذكر منها: في كلّ واد بنو سعد + لا إسعاد و لا عفر في الإسلام (حديث)...، لنؤكد مدى تأثير حياة القبيلة في وجدان العربيّ و إحساسه بشئى المعاني و المفاهيم التي تعتبر السعادة من أبرزها.

و لو قمنا من جهة أخرى بجرد أهمّ المعاني التي تفيدها العبارات المكوّنة لعينة البحث مهما كانت نسبة تواترها لرأينا كيف أنّها لا تخرج عن مدار المؤثرات السابقة إذ نستطيع حصرها في محاور معدودة هي: ما يتّصل بالمعارف و المعاش و الحياة القبليّة و القيم:

أ- المعارف: سعود النجوم + سعد الذابح + سعد بلع + سعد السعود + إذا طلع سعد السعود نضر العود...، و تقترن دلالة العبارات كما لا يخفى بمواقع النجوم و ما يتّصل بها من تفاؤل وتشاؤم و موافقة الحظّ و هي معانٍ تحيلنا في بعض وجوهاها إلى أنشطة الكهنة.

ب- الحياة القبليّة: ليس لبني فلان ساعد + أ سعد أم سعيد؟ + في كلّ واد بنو سعد + لا إسعاد و لا عفر في الإسلام + مرعى و لا كالسعدان...، و تحيلنا المعاني التي تؤدّيها العبارات على مظاهر كثيرة ترسم ملامح الحياة القبليّة بروابطها و عاداتها كالعناية بذوي الأرحام و التساوي في الاتّصاف بما يكره و يذمّ...

ج- القيم و الأخلاق و إن كانت في الأصل ترجع إلى الروابط التي تسم الحياة القبليّة: دهرين سعد القين + أ سعد أم سعيد؟ + أنج سعد فقد هلك سعيد + شدّ على ساعدك...، و هي معانٍ تحوم حول قيم الخير و الشرّ و الحثّ على التحلّي بالتآزر و الصدق و نبذ الكذب و الباطل...

د- المعاش و فضلّ عدم الاستعاضة عن الكلمة بمصطلح الحياة الاقتصادية لأنّ حجم العبارات في هذه العينة لا يكفي في تقديم صورة صادقة للأنشطة التجاريّة و الفلاحيّة و ما إلى ذلك: سعيد المزرعة + السعيد من كُفيّ + مرعى و لا كالسعدان...، و معاني هذه العبارات تقدّم لونا مهماً لعلاقة العربيّ بالأرض و البحث عن المرعى...

بيد أنّ ما يجب التنبيه إليه هو أنّنا لا نعثر في كلّ ما سبق على عبارة واحدة تحدّد السعادة أو تصفها و كأنّ درجة التجريد في المفهوم صرفت العرب عن المفهوم إلى الإحساس بالمفهوم. و غاية ما في الأمر هو أنّهم اهتمّوا في تعابيرهم بالسعيد لا بالسعادة: السعيد من كُفيّ. و في ذلك إشارة إلى ما يتحقّق بهذا المفهوم من قناعة تبعدهم عن الإحساس بشظف العيش. و في ذلك من التعميم ما يجعلنا

ندرك الجوانب المختلفة للسعادة عند العرب. ففيها من الحظّ ما يجعل الإنسان يتفاعل وفيها من المعاش ما يهوّن عليه مصاعب يومه لاسيّما الجوع و الإملاق و فيها من الأخلاق و من العادات و الحياة القبلية ما يدفع العربيّ إلى الالتزام بقوانين القبيلة و في ذلك الامتثال منتهى الإحساس بالسعادة حتّى أنّ شخصيّة الفرد تذوب في شخصيّة المجموعة.

3. الخاتمة

قمنا في هذا البحث من خلال ثلاثة معاجم هي لسان العرب و أساس البلاغة و مجمع الأمثال، بدراسة العبارات العربية القديمة التي تتقاطع مع السعادة في شيء منها كالجزر و تبين لنا بعد الوصف و التحليل أنّ مفهوم السعادة غاب عمّا تؤدّيه العبارة القديمة بدلالاتها لأنّه مفهوم على درجة مرتفعة من التجريد و لذلك انصرف العرب منه حسب رأينا إلى "السعيد" إيذانا منهم بدور المحيط في رسم صورة للسعادة بما يؤدّي إليها من أسباب نفسية و اجتماعية و أخلاقية وعقيدية...، غير أنّ الصورة الحقيقية لهذا المفهوم لا تكتمل رغم قيمة اللغة في ضبط المتصورات والمفاهيم، سوى بالنظر في الكتب العربية القديمة المنظرة للسعادة.

الحاشية:

- (1) ابن منظور، "لسان العرب المحيط"، مج4، ص668.
- (2) قد تؤخذ العبارة في مفهوم عامّ على أنّها كلّ مكوّن من مكوّنات الجملة، انظر للتحقّق من ذلك: قاموس اللسانيات، جان دييوا، (Dictionnaire de linguistique, J. Dubois et Al.)، ص202.
- (3) عبد الرزاق بن عمر، التلازم اللفظي و مداخل المعاجم العربية، أعمال الندوة الوطنية الخاصة بالتلازم اللفظي، تنظيم جمعية المعجميّة العربيّة بتونس، سنة 2002 .
- (4) عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربيّ القديم مع مقارنتها بنظرائها في الآداب السامية الأخرى، ص 20.
- (5) عبد الرزاق بن عمر، اللسنيّات العربيّة و نشأتها في القديم، دراسات لسانيّة، مج 5، ص 56.
- (6) لسان، مج3، ص147.

المصادر و المراجع

- (1) ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)، *لسان العرب المحيط*، 6 مجلّات، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، 1988.
- (2) الزمخشري (جار الله محمود بن عمر)، *أساس البلاغة*، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.
- (3) الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد) *مجمع الأمثال*، جزآن، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1988.
- (4) ابن عمر (عبد الرزاق)، *اللسانيات (التعابير الخاصة) في العربيّة القديمة*، نسخة مرقونة، كلّية الآداب، منوبة، تونس، أفريل، 2000.
- (5) ابن عمر (عبد الرزاق)، *اللسانيات العربيّة و نشأتها في القديم*، دراسات لسانیّة، المجلّد 5، تونس، 2002.
- (6) ابن عمر (عبد الرزاق)، *التلازم اللفظي و مداخل المعاجم العربيّة*، أعمال الندوة الوطنيّة الثالثة
في التلازم اللفظي والتّضام بمراعاة جمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس، في 2- 3 ماي 2002.
- (7) عابدين (عبد المجيد)، *الأمثال في النثر العربيّ القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب الساميّة الأخرى*، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1956.
- (8) Dubois (J.) & al, *Dictionnaire de linguistique*, Larousse, Paris, 1973.